جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية/ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

غسان كنفاني" عائد إلى حيفا"

مشروع بحث مقدّم من الطالبتين

(مروة عودة عاجل) و (علياء جبار علي)

إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، لنيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها

إشراف

م.م. ساجد كامل ياسين

١٤٣٩هـ ٢٠١٨

شكر وعرفان

قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس، لم يشكر الله

لله الفضل من قبل ومن بعد فالحمد الذي منحنا القدرة على انجاز هذا العمل المتواضع ،وبعد نتوجه بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام وأسمى معاني العرفان إلى الأستاذ الفاضل

م.م ساجد كامل ياسين

على مساعداته لنا في إنجاز هذا العمل وعلى جميل صبره وجهوده ونصائحه الصائبة، ونسأل الله أن يجزيه عنا خيرا وأن يجعله ذخرا لأهل العلم والمعرفة.

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

الإهداء

أتقدم بإهداء ثمرة هذا العمل المتواضع إلى

: من ربياني صغيرا، وإلى من أتمنى أن أنال رضاهما وأنا

كبيرة" والدي الكريمين"

إلى قرة عيني أمي ، ومن أنار لي دربي ومنايا في الحياة أبي

إلى إخوتي وأخواتي رفقاء دربي في الحياة

إلى كل أساتذتي وصديقاتي

المقدمة

عرفت الرواية العربية تطورا كبيرا وانتشارا واسعا، مما مكنها أن تحتل مكانة بارزة بين الأجناس الأدبية الحديثة، نتيجة امتلاكها مقومات التأثير في المجتمع والتغيير فيه، محاولة بذلك معالجة مشاكله هذا من جانب، ومن جانب آخر لامتلاكها القدرة الفنية وتميزها عن غيرها من الفنون وبقدرتها على احتواء هموم الإنسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا، ولهذا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ" رواية عائد إلى حيفا"لغسان كنفاني

وقد اعتمدت خطة ضمت تمهيد وفصلين وخاتمة ، وكان زادنا في هذا البحث مجموعة من المراجع المعتمدة منها كتاب بنية الشكل الروائي ل"حسن بحراوي "و"سيزا قاسم "في كتابها بناء الرواية، كما اعتمدت على الدراسات السابقة، كما اعتمدت على الدراسات السابقة لأعمال" غسان كنفاني "كدراسة" صبحية عودة زعرب "في كتابها "غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي." وقد اعترضت سبيل هذه الدراسة بعض الصعوبات، من بينها كثرة المراجع وتداخلها، وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بعميق شكري وامتناني لأستاذي الفاضل **م. م. ساجد كامل** وأرفع آيات التقدير وجميل العرفان وأتمنى أن أكون قد وفيت لتوجيهاته وللمعرفة التي أمدني بها في هذه الدراسة وطيلة السنوات الأخيرة الثلاث، وإلى كل من أمدني بيد العون من قريب أو بعيد دون استثناء .والله نسأل التوفيق والرضا والسداد في الخطى والتنوير في الدجى إنه ولي ذلك والقادر عليه وحده.

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون

صدق الله العظيم

السورة: ١٠٥

التمهيد:

حياة غسان كنفاني

غسان كنفاني من الذين عاشوا في ذل وعوز إثر نكبة عام ١٩٨٤م، ووحاد ممن حملوا بإكراه مسؤولية عوائلهم من عمر الطفولة، كما أنه يمثل الآلاف من الشباب الفلسطيني الذين حملوا مسؤولية الدفاع عن الوطن والقضية الفلسطينية([1])، ولد غسان

[1] غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبحية عودة: ١١.

في مدينة عكا بفلسطين في التاسع من نيسان (أبريل) عام ١٩٣٦عاش مع عائلته في " يافا" حيث كان والده يعمل محاسباً هناك([1]).

تلقى غسان تعليمه الابتدائي حتى شتاء ١٩٨٤ في مدرسة القرير الفرنسية بيافا، إلى أن وقعت النكبة وعادت الأسرة إلى عكا مكثت فيها بضعة أشهر حتى غادرتها مع جموع النازحين من العائلات الفلسطينية إلى لبنان في تاريخ ١٦/ ١٩٨٤/٥ تاركة بيوتها وممتلكاتها وأراضيها من لبنان إلى سوريا حيث استقرت العائلة في مدينة دمشق، عاش غسان في ظروف سيئة جداً، مما اضطره للعمل وهو طفل للمساهمة في إعالة أسرته.

أتم دراسته الإعدادية في دمشق عام ١٩٥٣ وعمل مدرساً في أحدى المدارس الابتدائية الخاصة باللاجئين في سوريا([2])، إلا أن هذه الشدة لم تضعف من عزيمة غسان ولم تصرفه عن مواصلة دراسته، بل ساعده العمل كمعلم على إتمام المرحلة الثانوية حتى حصل على البكالوريا، وانتسب بعد ذلك إلى جامعة دمشق قسم الآداب العربي حيث قضى ثلاث سنوات فصل بعدها لأسباب سياسية.. سافر بعدها إلى الكويت عام ١٩٥٦ليعمل مدرساً لمادتي الرسم والرياضة قضى فيها أربع سنوات تعد من أخصب الفترات التي عمقت ثقافته باطلاعه على أعمال كارل ماركس وانجلز ولينين، وفي عام ١٩٦٠م عاد إلى بيروت للانضمام إلى هيئة التحرير في مجلة " الحرية"، كتب غسان في كل ألوان الصحافة ، ومن افتتاحيات وخواطر إنسانية وعن المعارك السياسية، كما عرفت بأدب المقاومة في الأرض المحتلة، حضر العديد من المؤتمرات الأدبية والصحافية فيها مؤثر الكتاب الآسيويين والأفريقيين الذي عقد في

---

[1] نفسه: ١١

[2] نفسه: ١٢

القاهرة سنة ١٩٦٦م([1])، عمل في جريدة " الأنوار اللبنانية" ترأس مجلة الهدف، سنة ١٩٦٦الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حتى استشهد في الثامن من يوليو سنة ١٩٧٢ لما اغتيل من طرف العدو الإسرائيلي كما نال جائز منظمة الصحافين العالمية عام ١٩٧٤.

في عام ١٩٦٦ نال جائزة " أصدقاء الكتاب" في لبنان لأفضل رواية عن روايته ما (تبقى لكم) ونال جائزة اللوتس التي يمنحها اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا عام ١٩٧٥([2])كما ترجمت أعماله لعدة لغات أجنبية من بينها (رواية عائد إلى حيفا).

مؤلفاته:

ترك غسان كماً هائلاً من المقالات الأدبية والسياسية والدراسات النقدية المبعثرة في الدوريات[3]:

- رواية (رجال في الشمس) كتبها عام ١٩٦٣م المستوحاة من حياته، حياة الفلسطينين في الكويت([4]).
- رواية (ما تبقى لكم) كتبها عام ١٩٦٦م.
- رواية (عائد إلى حيفا كتبها) عام ١٩٦٦.
- رواية (أم سعد) كتبها عام ١٩٦٩.
- رواية (العاشق) وهي رواية لم تكتمل حيث بدأ كتابتها عام ١٩٦٦.
- رواية (الأعمى والأطرش) لم تكتمل

---

[1] غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، صبحية عودة : ١٢- ١٣

[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني: ٨

[3] غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، صبحية عودة : ١٧- ١٨.

[4] مصادر الدراسات الأدبية، يوسف أسعد: ١٠٣٢

- رواية (الشيء الآخر) نشرت عام ١٩٨٠.

كما كتب العديد من المسرحيات :

- مسرحية (الباب) كتبها عام ١٩٦٤ وهي مسرحية من خمسة فصول
- مسرحية (القبعة والنبي) كتبها عام ١٩٦٦.
- مسرحية (الجسر إلى الأبد) لم تنشر.

الفصل الأول

المكان في الرواية

المبحث الأول

المكان لغةً:

تعدد تعريفات المكان من الناحية اللغوية فيها ما جاء في لسان العرب لأبن منظور: (المكان بمعنى الموضع والجمع أمكنة و أماكن ، قال ثعلب: أن يكون المكان، لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك، فقد دلّ هذا على إنه مصدر من كان أو موضع منه)([1]).

في مقاييس اللغة وردت الكلمة تحت مادة : (مَكَنَ) الْمِيمُ وَالْكَافُ وَالنُّونُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. الْمَكْنُ: بَيْضُ الضَّبِّ. وَضَبٌّ مَكُونٌ، وَالْمُكُنَاتُ: أَوْكَارُ الطَّيْرِ، وَيُقَالُ مَكِنَاتٌ)([2]).

المكان اصطلاحاً:

يعد مصطلح المكان من المكونات الأساسية للسرد وليس عنصراً زائداً في الرواي إن يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود الرواية أو العمل الفني جميعاً، فهو " الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية"([3]) والمجال الذي تسير في الأحداث من تحولات على مستوى الشخصيات من أفعال وأقوال كذلك فإنّ، مكان الرواية ليس هو المكان الطبيعي فالنص يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة.

أهمية المكان في الرواية:

١- المكان يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق، ويمنحهم تميزهم عن الآخرين في مكان آخر، فإنّ للمكان من رؤية الأديب الفلسطيني لا سيما

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة (مكن): ١١٣/١٤

[2] مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ٥/ ٣٤٤

[3] بناء الرواية، سيزا قاسم: ٧٤

روائي تميزاً خاصاً ينبع من خصوصية تجربة الفلسطيني النفي القسري عن وطنه، فمهما تعددت الأمكنة في المنافي، فإنّ الحلم يظل يشد الفلسطيني إلى مكانه([1])، إنّ المكان لا يظهر في الرواية ظهوراً عشوائياً، إنما يتم اختياره بعناية له دور في اخفاء الصفة المتقنة على نص ما، والمكان يمكن أن يكون غرفة أو بيت أو مدرسة ... وقد تصاحب وصف الكاتب له مشاعر بالنسبة للأشخاص ليكون لدى الشخصية مكان أليف بالنسبة للمنزل الذي يقضي الإنسان فيه طفولته فيتوق إلى العودة إليه... وقد يكون المكان أيضا فضا لا يمكن إغلاقه كالشارع والصحراء والمدينة أو متنقل كالسفينة([2])، يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة لأنه أحد عناصره الفنية أو لأن المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات فحسب بل لأن المكان يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى الفضاء الذي يحتوي على كل العناصر الروائية فالمكان يكتب أهمية من خلال معايشة البطل للأمكنة.

المكان ليس عنصراً زائداً في الرواية في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل الروائي كله إذ تحركه لغة الكاتب ومخيلة المتلقي، ويتفق معظم النقاد على إنّ المكان بالنسبة للعناصر الأخرى هو النقطة الأساسية لكل الأبعاد التي يجمع بينها الكاتب، فهو الشخصية المتماسكة والأساسية في الرواية([3]).

إنّ تقديم الصورة المكانية في العمل الروائي بجمالية علاقتها وتشكيلاتها مع سائر الأبعاد تشكيلاً فنياً يعمل على خلق متعة لدى القارئ من خلال رؤيته للمكان

---

[1] الواقع الفلسطيني في الرواية غسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا: ١٦٧

[2] جماليات المكان : غاستون باشلار: تر: غالب هلسا: ٢١

[3] جماليات المكان في النقد العربي المعاصر، عبدالله أبو هيف: ١٤٣

المكتوب، مما يقود بالتالي إلى تعميق الصلة بين النص والمتلقي، يجعل القارئ يشارك الكاتب برؤية شبيهة برؤيته، على إنّ ذلك لا يعني إنّ المكان يُقدم في العمل الروائي([1]) لأغراض زخرفية جمالية أو خلفية كالأحداث فقط، وإنما أخذ يكتسب قيمة ووظائف أخرى جعلت منه عنصراً أساسياً يلتحم عضوياً مع كل مكونات العمل الروائي([2]).

في معظم الأحيان ولعل أبرز وظيفة له في النص الروائي هي الوظيفة التفسيرية([3])،فقد يتخذ الروائي من خلال الصور الوضعية والسردية إلى الحياة البشرية، وقد يعكس المكان نفسية الشخصيات ويكشف هويتها وأنماطها، كما يقف شاهداً على عمق الانتماء، تجاوز المكان وظيفته الأولية المحددة بوصفه مكاناً لوقوع الأحداث إلى فضاء يتسع لبنيته الروائية مما يؤثر فيها من خلال زاوية أساسية للإنسان.

المبحث الثاني

أ- الأماكن المغلقة في رواية العائد إلى حيفا:

[1] جماليات المكان، غاستون باشلار: ٦

[2] بنية النص السردي، حميد لحمداني: ٣٧

[3] نفسه: ٣٧

هي الأماكن التي تكتسب طابعاً خاصاً من خلال تفاعل الشخصية، من خلال مقابلته لفضاء أكثر انفتاحاً واتساعاً.

١ – البيت:

بيت سعيد في حيفا، مركز الأحداث، بحيث يحضر بقوة في الرواية، يقع هذا البيت في الطابق الثاني من البناية كان يعتبره سعيد أكثر أمناً وأوفر راحة إذ: استأجر بيته الصغير في تلك المنطقة التي حسب أنها أوفر أمناً([١])، فالبيت هو أول وأهم الأمكنة التي صنعها الإنسان ولا يزال يحتل تلك المكانة منذ فجر التاريخ حتى الآن: " فهو الذي يهيئ للإنسان قوة الجذور وهو الذي يمنحه الإحساس بالمركزية([٢])، كان بيت سعيد بسيطاً إلا انه ذا مكانة لديه " ذلك الذي عاش فيه ثم بعثه في ذاكرته طويلاً([٣])، وأول شيء أثار انتباه معبد أثناء عودته إليه ، إنه بدا له أصغر قليلاً مما تصور هو أكثر رطوبة، واستطاع أن يرى أشياء كثيرة أعتبرها ذات يوم، وما يزال، لأشيائه الحميمة الخاصة التي تصورها دائماً ملكيتاً غامضة مقدسة لم يستطع أي كان أن يتعرف عليها أو أن يلمسها([٤])، من خلال تأمله للأشياء لتي يحتويها هذ لمنزل والت لم يطرأ عليها أي غير، وجد أن هؤلاء الغرباء ما زالوا يستعملون أغراضه وأشياؤه بعد أن استولوا على منزله فأي ظلم أشنع من هذا الظلم أن يرى الإنسان أشياؤه وأغراضه في يد عدوه يتنعم بها، في حين أنه يعاني من التشرد والضياع وبمجرد العودة إليه انهالت عليهما الذكريات في استعادة المكان الحميم والبيت الأليف الذي تحول بفعل

---

[١] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني: ١٦

[٢] المكان في الرواية العربية، عبد الصمد زايد: ٦

[٣] عائد الى حيفا: ١٦

[٤] عائد إلى حيفا:٣١

الزمن والعدو إلى مكان معادِ، يختلف في شكله وتنضيد أثاثه، وذلك عندما رأى مقعدين من أصل خمسة مقاعد هما من المطعم الذي كان له، أما المقاعد الثلاثة الأخرى فقد كانت جديدة، بدت هناك فخة غير مستقرة مع الأثاث([1])، أثناء وصف الكاتب للبيت لم يقتصر على تقديم صورة له فقط بل على تقديم رموز وحقائق للوصول إلى صفات أولية يقصدها الكاتب وتظهر من خلال التغيرات التي طرأت عليه أستبدل المزهرية الزجاجية بأخرى مصنوعة من الخشب وفيها تكومت أعواد من ريش الطاووس ونحن نعلم بأن الزجاج يدل على الرقة أما الخشب فيدل على الصلابة والخشونة في التعامل أما الطاولة في الوسط المرصعة تدل على تراكم الأحداث أما لستائر التي استبدلت بستائر ذات خطوط زرقاء متطاولة وهذا يرمز للعلم الإسرائيلي، أو لاستحواذ العائلة اليهودية على البيت فصار ملكاً من ممتلكاتهم، وصف الكاتب بيت سعيد بتقنيات عالية جعلتنا نتخيله، فعرفنا فيه كل صغيرة وكبيرة إذ سقط نظره على تلك لريشات الخمس من ذيل الطاووس التي كانت مزروعة في الإناء الخشبي وسط الغرفة ورآها تتحرك بألوانها الرائعة، مع هبوب نسمة من الهواء دخلت من النافذة المفتوحة

- نزل المهاجرين:

بناء مزدحم بالسكان نزلت به مريام اليهودية وزوجها أفوات كوشن قبل أن يسكنا في بيت سعيد وسكنا في غرفة لهاجرين المضطهدين من طرف الألمان كانوا يلتقون فيه لتناول العشاء وربما كان قد نظر عدة مرات من شرفته إلى "الحليصة" إلا أنه لم يكن يعرف على الإطلاق أو حتى يخمن أنه سيجري إسكانه.

---

[1] نفسه: ٣١

السيارة:

تعود هذه لسيارة لسعيد التي قدم بها من رام الله إلى حيفا وهي " سيارة الفيات" الرمادية التي تحمل رقماً أردنياً أبيض([1]) فهي مكان مغلق أراد الكاتب من خلال زجاجها أن يصف لنا حيفا و شوارعها ويتجلى ذلك في قوله: (حين وصل سعيد إلى مشارف حيفا قادماً إليها بسيارته عن طريق القدس... كانت الحقول تتسرب تحت نظره عبر زجاج سيارته([2]) ووصف لنا حالته النفسية أثناء قيادته لها " حين وصل ... ربط الصمت لسانه وها هو الآن في الحليصة يسمع أصوات وعجلات سيارته تسير مثلما كانت دائماً، وكان النبض الصعب لقلبه المتوثب يخيفه بين الفينة والأخرى، لقد تضاءلت عشرون سنة من الغياب)([3]).

أ- الأماكن المفتوحة:

المكان المفتوح خير مكان خارجي لا تحده حدود ضيقة ما يشكل فضاء حياً وغالباً ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق([4]).

مدينة حيفا هي المدينة التي عاش فيها سعيد إلى أن اضطر إلى مغادرتها بعد أحداث نيسان ١٩٤٨، لما رمي بهم في المنفى ما تصور كنفاني هذا اليوم الذي كان من أكثر أيامها حزناً، حين كانت تودع أهلها الذين القوا في المنافي عبر البحر، "كانت السماء ناراً تتدفق بأصوات رصاص وقنابل وقصف بعيد وقريب، وكأنما هذه الأصوات

---

[1] عائد إلى حيفا: ٣٨

[2] نفسه: ١٠

[3] نفسه: ٩

[4] المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، رويدا عبود: ٥١

نفسها كانت تدفعهم نحو الميناء([1])، ووصفها وصفاً دقيقاً من خلال زجاج السيارة، من الأماكن إلى الشوارع والطرقات وكل ما طرأ عليها من تغير هذهِ حيفا إذن بعد عشرين سنةً، وفي الطريق كانت السيارة تشق طريقها نحو الشمال، عبر المرج الذي كان اسمه مرج ابن عامر قبل عشرين سنة، وتتسلق الطريق الساحلي نحو مدخل حيفا الجنوبي وحين عبر الشارع ودخل إلى الطريق الرئيسي انهار الجدار كله، وضاعت الطريق وراء ستار من الدموع"([2])، وصور كذلك بيوتها وشوارعها وأشجارها أثناء عودتهم الذليلة، وانعطف بسيارته كما كان يفعل دائماً، وسلق السفح محتفظاً بالموقع الصحيح في الطريق الذي أخذ يضيق ، وفي وصفه للبيوت فجأة أطل المنزل، المنزل ذاته ذلك الذي عاش فيه، وها هو الآن يطل بمقدمة شرفاته المطلية باللون الأصفر، كان حبلاً جديداً للغسيل قد دق على وتدين خارج الشرفة، وتدلت منه قطع بيضاء وحمراء لغسيل جديد([3]) "وفي وصفه للأشجار : وكانت هناك أشجار السرو الثلاث، التي تنحني قليلاً فوق الشارع وقد مدت أغصاناً جديدة، ورغب أن يتوقف لحظة كي يقرأ على جذوعها أسماء محفورة منذ زمن، ويكاد يتذكرها واحداً واحداً، ولكنه لم يفعل"([4]) جسّد غسا كنفاني مدينة حيفا بشكل إنساني مرهف الحس إلى حدّ يجعل القارئ يشعر بأنها امرأة تستجد.

- **الشارع:**

---

[1] عائد الى حيفا: ١٨

[2] عائد الى حيفا: ١١

[3] نفسه: ٢٨

[4] عائد إلى حيفا: ٢٧.

تعتبر الشوارع والأزقة والطرقات أماكن انتقال ومرور نموذجية لأنها ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحاً لغدوها ورواحها([1])، وشوارع حيفا تمثل ذلك المسرح الذي شهد حركة شخصيا غسان المتمثلة في سعيد وزوجته والأحداث التي صادفتهم أثناء عودتهم الى حيفا، ومن خلالهم تعرفنا على حيفا وشوارعها فجاء أثناء حديثهم عنها ذكر عدة شوارع منها شوارع القدس، شارع الملك فيصل وشوارع الحليصة وغيرها ن الشوارع المتناثرة في ثنايا الرواية: وقاتلوا في شوارع القدس([2])، وحين كانا وسط شوارع حيفا كانت رائحة الحرب ما تزال هناك.

وأخذت الأسماء تنهال في رأسه كما لو أنها تنفض عنها طبقة كثيفة من الغبار: وادي النسناس، شارع الملك فيصل، ساحة الحناطير، الحليصة ، الهادر، واختلطت عليه الأمور فجأة([3])، وذكر شارع الملك فيصل كان ينعطف بسيارته عند نهاية شارع الملك فيصل" فالشوارع بالنسبة له لم تتغير أسمائها بعد ، متجهاً نحو التقاطع الذي ينزل يساراً إلى الميناء "([4])، ووصف شوارع حيفا أثناء القصف وانقلبت شوارع حيفا إلى فوضى واكتسح الرعب المدينة التي أغلقت حوانيتها ونوافذ بيوتها([5])، فكانت جمالية شوارع حيفا أكثر ابعاداً من الشوارع التي هي مكان لمرور المشاة فقط، أو لعبور الزمن والانكسار، ومن هنا كانت جماليات الشارع العربي ليست في ذاتها فقط وإنما بما تصبه النفس عليها من مشاعر"([6]).

---

[1] نفسه: ٢٧.

[2] بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: ٦٩.

[3] عائد إلى حيفا: ١٥

[4] عائد إلى حيفا: ١٣

[5] نفسه: ١٤

[6] جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي: ٦٦

- **الطريق:**

تعتبر الطرق أماكن انتقال ومرور لأنها هي الأخرى تشهد حركة الشخصيات، ولقد نالت حظاً وافراً من رواية عائد إلى حيفا إذ أن معظم أحداثها وقعت في الطريق أثناء العودة إلى الوطن فـ(طوال الطريق كان يتكلم ويتكلم و يتكلم تحدث الى زوجته عن كل شيء([1])، ونجد كذلك صفية منصرفة إلى التحديق نحو الطريق تارة إلى اليمين وتارة نحو الشمال([2])، وفي مقطع آخر أثناء قيادته السيارة كانت تتسلق الطريق الساحلي نحو مدخل حيفا الجنوبي، وحين عبر الشارع ودخل إلى الطريق الرئيسي انهار الجدار كله وراء ستار من الدموع([3])، وجاء ذكر لمزارع والبحر في طيات الرواية، نحو " كانت المزارع تمتد على البصر وكان البحر الذي ظلّ بعيداً أكثر من عشرين سنة يهدر على القرب([4]) فقد مثل البحر لسعيد (س) كل معاني القهر والعذاب لما دفع إليه عنوة ! كان يتجه نحو البحر وكأنه محمول وسط الزحام الباكي، المذهول غير قادر على التفكير في أي شئ، وفي الأخير كان البحر رمز للعظمة والقوة والغضب والرهبة أما ثورة أمواجه التي رفع بهم إلى شواطئ رام الله.

- **الميناء:**

جاء ذكر الميناء في عدة مواضع في الرواية، وكان بالنسبة لـ" افرات كوشن" عبارة عن بوابة للحياة المستقرة حيث من خلاله حصل على بيت وولد: وحملته شاحنة صغيرة

---

[1] عائد الى حيفا: ١٥

[2] نفسه: ١١

[3] نفسه : ١١

[4] نفسه: ١٢

مع أشيائه القليلة عبر الميناء الصاخب([1])، أما بالنسبة لسعيد (س) فكان الباب الفاصل بينه وبين أبيه، لما أدرك أن كل شيء كان يدفعه إليه من خلال قوله: أما الآن فقد بات واضحاً أنهم يدفعونه نحو المينا... يزدجرونه بعنف، أحياناً بفوهات البنادق وأحياناً بحرابها، وكانت كل ذكرياته عنها محزنة لما خرج من الغرفة إذ أحس هو الآخر بدموع حارقة تسد حلقه، حين سمعه يدق المرة تلو الأخرى ، فوق لزحام المتدفق أمام مياه الميناء الباكية، فالمكان إذن مرتبط بجماليته الخاصة عند كل فرد حيث يرى الكثيرون أن أجمل البيوت تكون في القصور والبعض يراها في الخيام، فلكل مكان خصوصية بذكرياته وأحلامه وما يحمل من معان ورؤيا داخل وجدان الفرد فإذا كان هذا بالنسبة للمكان باعتباره الإطار الذي تدور فيه الأحداث فماذا بالنسبة للشخصيات التي تتحرك فيه؟

---

[1] عائد إلى حيفا: ٣٨

الفصل الثاني

الشخصية الروائية

المبحث الأول

يمثل مفهوم الشخصية عنصراً محورياً في كل سرد، حيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات، ومن ثم التشخيص هو محور التجربة الروائية، ومع ذلك يواجه البحث في موضوع الشخصية صعوبات معرفية متعددة، حيث تختلف المقارنات والنظريات حول مفهوم الشخصية([1])، ولذلك سأحاول ضبط مفهومها.

أ- الشخصية لغة:

ورد مفهوم الشخصية من الناحية اللغوية في معظم المعاجم العربية، فمما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (ش خ ص): شخص: الشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جثمانه فقد رأيت شخصه، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد بهِ إثبات الذات، فاستعير لها لفظ الشخص، وكلام مشاخص أي متفاوت([2])، وورد أيضاً في القاموس المحيط: أرتفع عن الهدف ، شخص يصوته فلا يقدر على رفعه وشخص به بمعنى أتاه أمراً أقله وأزعجه([3]).

فلفظ الشخص إذن تطلق على كل ذات بغض النظر عن الجنس ذكر كان أم أنثى وكل من رأيت شكله أو جسمه فقد رأيت شخصه.

ب- الشخصية اصطلاحاً:

---

[1] تحليل النص السردي، محمد بوعزة: ٣٩

[2] لسان العرب: ٨/ ٣٦

[3] القاموس المحيط، الفيروآبادي: ٢/ ٤٦٩

تعتبر الشخصية ركن أساسي من أركان لرواية وهي العنصر الفاعل الذي يساهم في الحدث يؤثر فيه ويتأثر به، ودون الشخصية يفقد كل من الزمان والمكان معناها.

ومن هنا فالشخصية تعد من أهم مكونات النص السردي، لما تضفيه على الأحداث من حركية وسيطرة في الآن نفسه، إنها نبض النص والحركة التي تجري فيه لا يستطيع تجاهلها أو حتى تجاوزها.

ج- أهمية الشخصية الروائية:

تعد الشخصية من أهم مكونات النص السردي، حيث يعتبرها النقاد أساس بناء الرواية وسبب نجاحها، فالشخصية تلعب دوراً كبيراً في بناء الرواية، فهي مركز الأفكار، ومجال المعاني التي تدور حول الأحداث " الشخصية الروائية تستمد أفكارها واتجاهاتها وتقاليدها وصفاتها الجسمية من الواقع الذي تعيش فيه ، وتكون عادة ذات طابع مميز عن الأنماط البشرية التقليدية التي نراها في حياتنا اليومية[1]، بمعنى أن الشخصية هي مركز الأحداث في الرواية، إن الروائي حين يطرح رؤيته فإنه يطرحها عبر شخصياته، فهي بهذا الوضع الكون الأكبر للنص ولا وجود للسرد بدون شخصية" فهو حين يتحدث عن السرد ورموزه وعلاماته فإنها أصلاً تجري على لسان الشخصيات وليست مذكورة في الفضاء هكذا([2])

أي أن لا وجود لأي عمل سردي روائي في غياب الشخصية؛ لأن العناصر الأخرى مرتبطة بالشخصية نفسها حيث أن الحوار لا يمكن أن يكون دون شخصية حوارية والأحداث لا تتحرك في غياب شخصية محركة للأحداث، وإن الشخصية تتحرك

---

[1] بناء الرواية، عبد الفتاح عثمان: ١٢١

[2] الشخصية الثانوية ودورها في المضمار الروائي عند نجيب محفوظ، محمد علي سلامة: ٣٢.

ضمن الفضاء الزماني والمكاني، فالشخصية إذن هي المحرك الرئيسي للرواية من خلال تيسيرها للأحداث، هي التي يأتي على لسانها السرد، ويتمحور حولها المضمون الذي يود الكاتب إيصاله للقارئ، ويرى عبد الملك مرتاض بشأن أهميتها ودورها: أنها قادرة ، وقيمتها، فالحوار هو حديث الشخصية ، والشخصية تتحرك ضمن الفضاء الزماني والمكاني، فلها إذن حضور جمالي خلّاق في العمل الروائي.

إنّ كلمة شخصية مشتقة من الأصل اللاتيني " personal" وتعني هذه الكلمة القناع الذي يضعه الممثل على وهه لتأدية الدور المسند إليه([1])، حيق يقدم بتمثيل دور أو كان يريد الظهور بمظهر معين أمام الناس، وبهذا تكون الشخصية ما يظهر عليه الشخص في الوظائف المختلفة التي يقوم بها على مسرح الحياة، وكلمة الشخصية هي : " كلمة حديثة الاستعمال، تعني صفات تميز الشخص عن غيره"([2]).

الشخصية إذن هي مجموعة من الصفات الظاهرة على المرء وبفضلها يتميز كل شخص عن غيره من الأشخاص ، وهذا ما جاء أيضاً في قاموس السرديات " بأنها كائن له سمات إنسانية ومتحرك في أفعال إنسانية"([3]).

تعمل الشخصية الفنية كمحرك أساسي للعمل الروائي فهي القطب الذي يتمحور حول الخطاب السردي، وأهم أداة يستخدمها الروائي لتصوير الأحداث هي اختياره للشخصيات" حيث تلعب دوراً رئيسياً ومهماً في تجسيد فكرة الروائي وهي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي([4]).

---

[1] الشخصية أنواعها أغراضها فن التعامل معها، سعيد رياض: ١١

[2] قاموس السرديات، جيرالد برنس: ٣٠

[3] الشخصية في العمل الروائي، نصر الدين محمد: ٣٧٠

[4] تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، شريبط أحمد شريبط: ٤٣

وهي أيضاً أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة، ولا يجوز الفصل بينهم بين الحدث، لأن الشخصية هي التي تقوم بهذهِ الأحداث على ما لا يقدر عليه أي عنصر آخر من المشكلات السردية، إنّ قدرة الشخص على تقمص الأدوار المختلفة التي يحملها إياها الروائي يجعلها في وضع ممتاز حقاً([1]).

نستنتج أن الشخصية هي المحور الأساسي في الرواية، وهي مركز الأحداث والمحرك الرئيسي لها.

[1] نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض: ٧٩

المبحث الثاني

أنواع الشخصية في الرواية:

لكل رواية شخصيات خاصة تبرز طبيعتها وتحدد أغراضها في الحياة، وطريقة تفكيرها ومعالجتها للقضايا، وأهدافها، وتترجم خبايا نفوسها ومكنوناتها، والشخصيات في هذهِ الرواية، هي الشخصيات ومن واقع قاسي فرضه الاحتلال الصهيوني على الفلسطيني، فكانت معظم شخصيات كنفاني واقعية ومما يؤكد ذلك قوله: استوحيت كافة أبطال رواياتي من الواقع الذي كان يصدمني وليس من الخيال([1])، وقد تنوعت شخصيات هذهِ الرواية بين رئيسة وثانوية وكذلك شخصيات عابرة أو مهملة كمشاركة في العمل الروائي.

أ- الشخصيات الرئيسة:

هي الشخصيات البطلة التي يقوم عليها العمل الروائي، وهي الشخصية الفنية " التي يصفها القاص لتمثل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس، وتتمتع الشخصية الفنية المكون بناؤها باستقلالية في الرأي، وحرية في الحركة وأصل مجال النص القصصي([2]).

والشخصيات التي قامت بهذا الدور في روايتنا هي:

---

[1] غسان كنفاني، صبحية عودة: ٣١

[2] تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية: ٤٥

شخصية سعيد (س):

المدعو أبا خالد بطل الرواية وهو رب عائلة مكونة من الزوجة صفية وخالد والبنت الصغرى خالدة وخلدون الذي تحول بفعل الزمن والعدو إلى خوف، فسعيد أول شخص يظهر في أحداث الرواية وكذلك آخر شخص فيها ففي البداية " حين وصل سعيد إلى مشارف حيفا"([1])، فكل لأحداث كانت مرتبطة به، وتغيرت بتغير مسار حياته، ويتضح أيضاً لنا من خلال الطريقة التي اتبعها الكاتب في تقديم شخصية سعيد أنها شخصية نامية متطورة بتطور الأحداث، فكل منها يؤثر في الآخر، وشخصية سعيد طرأت عليها عدة تغيرات أثناء عودته إلى حيفا بالذات كما يتضح من خلال تتبعنا لأحداث الرواية والطريقة لتي قدم بها الكاتب شخصية سعيد (س)، فبدأ روايته بتصوير الواقع الذي يعيشه أثناء عودته إلى حيفا والحالة النفسية المزرية التي يعيشها جراء تأنيب الضمير لتركه ابنه وبلده، وفي نفس الوقت كانت شخصية مثقفة واعية بما يحدث من حوله، لأنه لا يملك حيلة ويظل رهينة الوضع الراهن، وتظهر ثقافته في قوله: لا أنت لا ترتبها، انهم يرونها لك.. إنهم يقولون لنا تفضلوا انظروا كيف إننا أحسن منكم، وأكثر رقياً، عليكم أن تقبلوا أن تكونوا خدماً لنا معجبين بنا"([2]).

فهذه الشخصية هي المحور الأساسي في الرواية، وتتكشف للقارئ كلما تقدم في لقصة، وتقاضيه بما تعتبره من جانبها- عواطفها الإنسانية، هي شخصية متطورة نامية من خلال ما يظهر في زيارة سعيد لمدينة حيفا في بادئ الأمر كانت للنظر إلى الأشياء فقط ونداء الدم واللحم ولشرط الأبوة " جئنا فقط ننظر إلى الأشياء ثم تغيرت أفكاره بعد محاورته مع ابنه التي كانت العمود الفقري لتطور الأحداث وبالتالي

---

[1] عائد إلى حيفا: ٩

[2] نفسه: ١٢

، لقد أيقن سعيد (س)حينئذ إن الإنسان في نهاية الأمر ولا علاقة لها بقرابة الدم واللحم، وتغيرت رؤيته للأشياء متخذاً موقفاً حاسماً من ابنه " إننا حين نقف مع الإنسان فذلك شيء لا علاقة له بالدم واللحم وتذاكر الهوية، وجوازات السفر.. إذا كنت أنا نادماً على شيء فهو انني اعتقدت عكس ذلك طوال عشرين سنة"([1])

فبهذا التعبير كانت شخصية سعيد متطورة من ناحية، فإن هذا النمو يدل على انسحاب الكاتب في ساحة الرواية ليمنح الفرصة لشخصياتها كي تتحرك بحرية من أجل إنجاز المهمات الفكرية والسياسية التي يحملها إياها.

ومن الشخصيات الرئيسة أيضاً في الرواية نذكر:

(خلدون): الضابط الاحتياطي في الجيش الإسرائيلي، ابن سعيد وصفية بقرابة الدم واللحم، وابن مريام وافرات كوشن اليهوديين بالتبني، وهو شاب طويل القامة راح ضحية ترك والديه له في صغره، محولة هذا الترك من طفل عربي مسلم إلى شاب إسرائيلي متشبع بالديانة اليهودية ومعتقداتها إلى حد الثمالة، إذ ربته امرأة يهودية فشبّ على قناعات جعلته يرفض العودة لوالديه مسفهاً مفهومها للأبوة والأمومة وذلك من خلال قوله لهما": " بعد أن عرفت إنكما عربيان ، كنت دائماً أتساءل بيني وبين نفسي: كيف يستطيع الأب والأم يتركا ابنهما وهو في شهره الخامس ويهربان؟ وكيف يستطيع من هو ليس أمه وليس أباه أن يحتضناه ويربياه عشرين سنة"([2]). وهكذا كان خلدون أو(دوف) ضحية لعوامل عدة حولته إلى إنسان مناقض لأخيه خالد وقضيته، فبدلاً من أن يكون معيناً للقضية الفلسطينية صار عدواً وضداً لها، وما إلا رمز لجريمة جيل فلسطين على رأي د. رضوى عاشور حيث " ترك لأرض ثم تباكى على

---

[1] عائد إلى حيفا: ٦٩

[2] نفسه: ٦٦

فقدها، وهو أيضاً رمز لمئات الحالات التي خلفتها نكبة ١٩٤٨م، والتي لا يبرر وجودها أن يمحي اسم فلسطين ليستبدل باسم إسرائيل ، إنه فقط رمز لمحاكمة العلاقات الأبوية([1]) وهدم كل الأوهام التي عاش عليها جيل سعيد (س).

ب-الشخصيات الثانوية:

أو الشخصية المساعدة وهي التي " تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه للإسهام في تصوير الحدث، ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية[2] ومن أمثلة ذلك في الرواية تجد:

السيدة صفية: زوجة سعيد (س) هي شابة صغيرة لم تعتد العيش في المدين لكبيرة منذ أن جاء بها من الريف، وهي كذلك امرأة ضعيفة مرهفة الاحساس، تحمل حرقة في قلبها أثرت فيها منذ أن تركت ابنها الصغير وحيداً، فظلّت تحمل نفسها المسؤولية طوال عشرون سنة، كما يظهر ذلك في حديثها مع زوجها في الرواية:" وبنظرها أن كي لا تشعر بأنها- كما كانت تشعر دائماً- هي التي ارتكبت تلك الفجيعة التي جرت في قلبيهما معاً([3])، عاشت صفية سنين طويلة محتارة وخائفة تحس بالذنب، وكانت دائماً تظهر بصورة المرأة لحزينة الباكية في صوتها رقة مثل: "ومرة جديدة، ومفاجئة، أخذت تبكي، وتجفف دموعها بمنديلها الأبيض الصغير، وقال سعيد لنفسة وهو ينظر إليها: لقد شاخت هذه المرأة حقاً، واستنزفت شبابها وهي تنتظر هذه اللحظة، دون أن تعرف أنها لحظة مروعة([4])، وكانت شخصية صفية ثانية غير متطورة من بداية

---

[1] غسان كنفاني، صبحية زعرب: ١٩٨

[2] تطور البنية الفنية، شريبط أحمد شريبط: ٤٥

[3] عائد إلى حيفا: غسان كنفاني،ص٢٤.

[4] عائد الى حيفا ، ص٧٠.

الرواية إلى نهايتها. حيث بنت حياتها على فكرة واحدة وثابتة وهي أن "دوف" هو أبنها مهما حدث، لذلك تعجب من مربيته اليهودية حيث تقول في أمر تخيير أبنها بين والديه الحقيقيين وبين من عاش بينهما" ذلك خيار عادل....وأنا واثقة أن خلدون سيختار والدية الحقيقيين، وهكذا كانت شخصية صفية الثابتة وغير المتطورة، وما الأم في الرواية إلا رمز للأرض وجذورها، فكما تمسكت صفية بفكرة أن خلدون ابنها مهما طال الزمن، كذلك،فلسطين ستبقى أرض عربية إلى الأبد، ولن يستطيعوا محوها مهما عملوا على تغيير معالمها وطمس لهويتها. وإن فشلت الشخصية في تطوير نفسها لتكون فاعلة ومؤثرة ، فقد نجحت في أداء وظيفتها في العمل الروائي.

ميريام:المرأة العجوز السمينة بعض الشيء والقصيرة، وهي امرأة بولونية من أصول يهودية فقدت والدها في" أوشفيتز" لما هجم الجنود الألمان على المنزل الذي كانت،تعيش فيه مع زوجها، ورأت كيف أطلقوا الرصاص على أخيها ،فأرادت بعد تلك الليلة العودة إلى إيطاليا إلا أنها هي الأخرى لم تفلح في ذلك" وكانت دائما تخسر النقاش بسرعة، ولا تستطيع إيجاد الكلمات التي تعبر عن رأيها، وتشرح حقيقة دوافعها "فمن خلال هذا الكلام ندرك أن ميريام هي الأخرى امرأة ضعيفة لا تستطيع التعبير عن رأيها أو حتى شرح حقيقة دوافعها، وكانت ترفض البقاء في حيفا كارهة للظلم الذي يسلط على أهلها، إذ ترى فيه الظلم الذي تعرضوا له من طرف الألمان ،وذلك عند موازاتها بين أخيها وبين الطفل الفلسطيني الذي قتله شابان من الهاغاناه ورموه في شاحنة كأنه حطبة: "شابان من الهاغاناه يحملان شيئا ويضعانه في شاحنة صغيرة...كان طفلا عربيا ميتا، وقد رأيته مكسوا بالدم...ألم ترى كيف القوه في الشاحنة كأنه حطبة ؟ "، وخلدون هو السبب الوحيد لبقائها في حيفا اعتنت به إلى أن صار شابا، وعندما عاد والديه في محاولة لا يمكن أن استرجاعه لم تنكر حقهم فيه،

وإنما اقترحت تخييره بينها وبينهما، أنا أعرف أبوه وأعرف أيضاً إنه أبننا، ومع ذلك لندعه يقرر بنفسه، لندعه يختار، لقد أصبح شاباً راشداً على علينا نحن الأثنين أن نعترف بأنه وحده صاحب الحق أن يختار، وهنا أشار إلى الخبث والمكر الإسرائيلي وليس إلى المعاملة لإنسانية كما يشير إليها أبو أصبع بدليل إن الاختيار لم يحصل على أرض الواقع، أو إن مريام كانت تعلم جيداً إن مفاهيم الأمومة والأبوة ترتبط بالتربية ولهذا راحت تخير دوف بينهما مدركة بأنها في الجانب الأقوى وفي كفة الراحة.

البنيةلسردية

إن السرد من المفاهيم التي شغلت الباحثين واللغويين سواء أكانوا عربا أم غربا نظرا لدقة هذا المصطلح وأهميته[1] في العمل الروائي، حيث يمكن أن نعرف السرد بأنه.

1-السرد لغة : جاء في لسان العرب مادة (س، ر، د) بأنه " تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا، سرد: الحديث ونحوه يسرده سردا، إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا، إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه"([2])،كما وردت كلمة السرد في القاموس المحيط بمعنى النسج والسبك فهو":الخرز في الأديم بالكسر والثقب كالتسريد فيهما، ونسج الدرع، اسم جامع للدروع وسائر الحلق، وجودة سياق الحديث، ومتابعة الصوم، وتسرد، كَفرِح : صار يسرِد صومه"([3]) يتضح من خلال التعريفين السابقين أن السرد هو رواية حديث متتابع الأجزاء، يشد كل منها

---

[1] دراسة الأسلوب بين المعاصر والتراث، أحمد درويش: ١٥

[2] لسان العرب: ١٦٥

[3] القاموس المحيط: ٤١٧

الآخر شدا مترابطا، متناسقا، يؤمن فهم السامع له وإدراكه لمضامينه، والفهم يكون في كيفية بناء المسرود أكثر مما يكون في مادته.

2-السرد اصطلاحا :هو الفعل السردي، المنتج([1]) أو فعل نقل الحكاية إلى المتلقي فالمحكي خطاب شفوي أو مكتوب يعرض حكاية، والسرد هو الفعل الذي ينتج هذا المحكي ذلك أن الحكي عامة يقوم على دعامتين أساسيتين كما يرى حميد لحميداني : أولاهما :أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداث معينة.

[1] خطاب الحكاية بحث في لمنهج: ٣٩

المبحث الثاني

مكونات البنية السردية ووظائفها في رواية عائد إلى حيفا

بنا إلى الخلف كي نكتشف الأسباب والأشخاص... الفلاش باك. وقد يتبع أسلوب اللاوعي والتداعي ، فيبدأ من نقطة معينة ويتقدم ويتأخر حسب قانون التداعي ... الطريقة الحديثة، كل ذلك متروك لعبقرية الكاتب وتمكنه من أدوات البحث"([1])

2-أحداث الرواية:

ومن خلال تتبع أحداث رواية" عائد إلى حيفا" التي هي قيد الدراسة، يتضح بأن

غسان كنفاني قام بالبدء من الوسط "فتعتبر هذه الرواية نموذجا ناجحا للبدء من الوسط"([2]) فقد بدأت أحداث هذه الرواية" حين وصل سعيد) س (إلى مشارف حيفا ، قادما إليها بسيارته عن طريق القدس "([3]) ثم تعود الرواية عشرون سنة إلى الوراء وتصل إلى" صباح ويقوم الكاتب عندها بإعادة ترتيب الأحداث الماضية " الأربعاء 21نيسان1948 والظروف التي دفعت إلى ترك الصغير في سريره، والهروب نحو المنفى، ثم متابعة الرحلة إلى المنزل القديم في حيفا وصولا إلى المواجهة بين الأب والأم من جهة وخلدون أو (دوف) من جهة أخرى. هكذا كانت الأحداث الأساسية في الرواية عامة، ومن خلالها سأحاول عرض كل الأحداث التي ذكرت فيها منها التي ذكرت في الحاضر أو في الماضي للإلمام بأحداثها كاملة:

الحدث الأول :وصول سعيد(س) وزوجته إلى مشارف حيفا، وتذكرهما للأحداث، التي ألمت بهما في حرب نيسان والتي جاء ذكرها كاملة عن طريق الاستذكار.

وآلو بعد ذلك يعانون ذل العوز واللجوء والمعاناة في المخيمات، سواءً في الأراضي

---

[1] مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، يوسف حطيني: ٦٨

[2] عائد الى حيفا: ١

[3] نفسه: ١٥

الفلسطينية أو غيرها من الدول العربية.

الحدث الثاني: متابعة الرحلة إلى المنزل القديم في حيفا" طوال الطريق من رام الله إلى القدس إلى حيفا ظل يتحدث عن كل شيء...لكنه حين وصل إلى أول" بيت غاليم ربط الصمت لسانه "([1]) فهو يرغب كالكثيرين منذ أن فتحت الحدود إلى زيارة مسقط رأسه، إلا أنه كان ينتظر من زوجته أن تبادئ في الأمر لأنها كانت دائما تحس بالذنب" كي لا تشعر كما كانت تشعر دائما هي التي ارتكبت تلك الفجيعة"([2]) فكانت رحلة مليئة بالألم والعذاب ترمز إلى الإحساس بالذنب لدى الزوجين لتركهما مكانهما الأصيل وطفلهما الصغير، فيمرا بطريق الذكريات المرة كمناسبة لمراجعة الذات ونقدها، ووضع حد لتحاشي هذا الموضوع إن"ذلك الاسم ، لم يلفظ قط في تلك الغرفة منذ زمن طويل([3]) ويواصلان الرحلة في صمت حزين" ها هما الآن ينظران صامتين إلى الطريق التي يعرفانها جيدا والملتصقة في رأسيهما كقطع من لحمهما وعظامهما([4])

الحدث الثالث:الوصول إلى البيت القديم الذي طالما شغل بال وتفكير سعيد وزوجته

وحينها أخذت صفية تبكي بصوت مسموع، انحرف إلى اليمين، أوقف السيارة ودارت

زوجته حولها ، أمسك بذراعها وأخذ يقطع بها الشارع متجها نحو باب المنزل إلى أن فتح لهما.

---

[1] عائد الى حيفا، غسان كنفاني: ٢٣

[2] نفسه: ٢٤

[3] نفسه٢٥

[4] نفسه: ١٠

الحدث الرابع :الدخول إلى المنزل وتفقدهما للأشياء التي كانت ملكا لهم في يوم من الأيام" وأخذ يخطوا ناظرا حواليه مكتشفا الأمور شيئا فشيئا ، أو كدفعة واحدة كمن يصحوا من إغماء طويل"([1]) ثم الحديث مع المربية ميريام عن أصولها وكيفية حصولها على بيتهم ،وغيرها من الأمور الأخرى التي يريدون الوصول إليها وبالأخص عن خلدون.

الحدث الخامس: ذكر كيفية إنقاذ خلدون من طرف" تورازونشتاين "،تحركت من مكانها قرعت الباب، اضطرت إلى تحطيمه، وحملت الطفل المنهك تماما من الجوع والبكاء إلى بيتها، ولما عجزت عن إعالته حملته إلى الوكالة اليهودية" وهكذا فقد كان من حظ "أفرات كوشن "أن جاء بعد ذلك بفترة وجيزة إلى مكتب الوكالة... عرضوا عليه بيتا في حيفا نفسها كامتياز خاص ،إن هو قبل بتبني الطفل"([2])

الحدث السادس :إنتظار عودة دوف إلى البيت،"وظل سعيد (س) ينظر حواليه وقد ضاقت حيرته بعد أن استمع إلى قصة ميريام نتفة وراء الأخرى...ولفترة ما ظلا، صفية وهو ... ينتظران شيئا مجهولا لا قدرة لهما على تصوره " ([3]) التفاهم على أمر الاختيار بينهما وبين ميريام.

الحدث السابع: الحدث الذي حصل لفارس اللبدة، ذهب إلى يافا قبل أسبوع .دخل فارس مشدوها لا يكاد يصدق وقد كان البيت هو نفسه – تعرفه على صاحب البيت الجديد

---

[1] عائد الى حيفا: ٤٣

[2] نفسه: ٤٥

[3] نفسه: ٤٦

ظل فارس ينتظر إلي شقيقه حتى منتصف الليل – أخذ صورة أخيه معه – أعادها إلى مكانها بعد أن قطع بها مسافة طويلة – إنه يحمل السلاح الآن.

الحدث الثامن:عودة دوف إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل جاءت الخطوات على الدرج – ارتجفت ميريام قليلا وراحت تشرح له سبب مجيء والديه قفز سعيد واقفا كأن تيارا كهربائيا قذفه عن المقعد لما رأى خلدون بالبزة العسكرية الإسرائيلية.

الحدث التاسع :المواجهة بين الأب والأم من جهة، وخلدون أو(دوف) من جهة أخرى إنكار خلدون لوالديه قائلا لوالدته بالتبني":أن لا أعرف أما غيرك، أما أبي فقد قتل في سينا "ومعاتبته لهم على تركه صغيرا. شعر سعيد أن كل ذكرياته عن خلدون كانت كقبضة من الثلج أشرقت عليها شمس ملتهبة فذوبتها.

الحدث العاشر :حدث الانصراف من البيت القديم الذي انهار في لحظات وانهارت معه كل الأحلام والآمال وتحولت الذكريات إلى أوهام طالما نسجت الأم الحنون خيوطها وضاع خلدون مرة أخرى وضاع أمل لقائه من جديد، وحينها أحس سعيد بشوق غامض إلى خالد".بدت له الأشياء أقل أهمية بعد أن كانت قبل ساعات ذات أهمية كبرى لهما "([1]) فقد انتهى الأمر كله، ولم يعد هناك ما يقال بعد"([2]) ولما وصل إلى الباب الخارجي قال لهم" تستطيعان البقاء مؤقتا في بيتنا، فذلك شيء تحتاج تسويته إلى حرب، وبدأ ينزل السلم، وفي الطريق قال لزوجته" أرجو أن يكون خالد قد ذهب ...أثناء غيابنا "أي للالتحاق بالمقاومة، وهكذا انتهت أحداث" عائد إلى حيفا.

---

[1] عائد الى حيفا: ٧١

[2] نفسه: ٧٤

ملخص الرواية:

هي رواية, واقعية جسدت معاناة الشعب الفلسطيني و حب العودة إلى الوطن، تدور معظم أحداثها في الطريق إلى حيفا عندما قرر سعيد وزوجته الذهاب إلى هناك، بعد أن فتحت الحدود بين الكيان الصهيوني والضفة الغربية بعد حرب حزيران سنة 1967 م، لتفقد بيتهما الذي تركاه وفيه طفل رضيع أثناء معركة حيفا سنة 1948 م .وتبدأ الرواية حين وصل سعيد.س وزوجته إلى مشارف حيفا، قادما إليها بسيارة عن طريق القدس، بعد غياب عشرون سنة، حيث خيم على كل منهما الصمت، رغم أنهما لم يكفا عن الكلام طوال الطريق في كل الأمور، ولما وصلا مدخل حيفا، أدركا أنهما لم يتحدثا عن الأمر الذي جاءا من أجله، وحينما بدأت الذاكرة في استرجاع الماضي الأليم ماضي نيسان 1948 م، راحت الذكريات تنهال كالسيل دفعة واحدة، فأحسا أن الماضي حاد كالسكين" .جاء المضي حادا مثل لما حدث يوم الأربعاء 21 نيسان 1984م فوصف الاجتياح المفاجئ للاستعمار اليهودي على حيفا، وكيف اهتزت شوارع المدينة، كان سعيد(س) حينها قد خرج قبل القصف تاركا زوجته صفية وابنه خلدون في البيت، ولما اكتسح المستعمر الصهيوني شوارع حيفا أراد الرجوع إلى منزله لأخذ زوجته وابنه خلدون وصارت الرجعة مستحيلة لأن القصف قد اشتد في الشوارع في الوقت نفسه كانت زوجته صفية تنتظره في المنزل مع طفلها الصغير خلدون الذي يبلغ من العمر خمسة أشهر، ولما طال انتظارها في لحظة دون وعي منها خرجت لتبحث عنه تاركة الرضيع "خلدون "في البيت، وأخذت تفتش عن زوجها وسط الحشود فأدركت أنها ابتعدت عن ابنها راحت تصرخ إلى أن عثر عليها سعيد ورافقها في محاولة العودة إلى البيت، حيث اضطرا للنزوح، واستقرا في" رام الله "

إلا أن ابنهما خلدون كان في الذاكرة معهما وبعد عشرين سنة استطاع هو وزوجته أن يعودا إلى حيفا لزيارة منزلهما القديم في

ولما وصلا إلا المنزل وطرقا الباب، فتحت لهما امرأة يهودية اسمها" ميريام "ودعتهما للدخول عندها تفاجأ لأنهما وجدا المنزل على حاله لم يتغير وقالت لهما إنه ابنكما الصغير وقد ربيته طيلة عشرين سنة وروت لهما القصة من البداية عن تبني ابنهما خلدون وما هي إلا لحظات حتى جاء" خلدون "أو" دوف "إلى المنزل وما إن أخبرته " ميريام "عن سبب مجيئهما أي والديه الأصليين حتى انفعل وأخذ يصرخ في وجههما وكأنه يحاكمهما ويستهزئ بهما ويعاتبهما على تركه وهو طفل صغير ووصفهما بالجبن والعجز.

الخاتمة:

توصلت في هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج:

١- بينت هذه الدراسة أن غسان كنفاني ركز على الزمن الماضي التاريخي، لكنه سرعان ما استخدم الزمن النفسي الذي اختلط بالحاضر والمستقبل، ولم يستطع الفكاك من سيطرته، لأن كل ما في المجتمع سلبي، ولأن الفكاك يأتي عنده بالتخلص من سلبيات الماضي والانطلاق نحو الثورة.

٢- الاعتماد على مخزون الذاكرة والعودة بالسرد إلى الوراء، فوردت معظم الأحداث من الذاكرة، وارتباطها بأحداث من الواقع هو ما أدى إلى بروز التداعي في الأفكار والاعتماد على السوابق واللواحق.

٣- اهتمام الكاتب بالمضمون والأفكار أكثر من اهتمامه بالشكل الفني، فالهدف من هذا العمل الفني هو إبلاغ رسالته للقارئ من خلال نقد الواقع وتعريته فقد عبرت هذه الرواية عن الوضع السياسي والاجتماعي الذي عاشته فلسطين جراء النكسة العربية، وانعكاساتها على مختلف الأصعدة.

٤- المكان الروائي ليس الإطار الذي تجري فيه الأحداث فقط، بل هو أيضا أحد العناصر الفعالة في تلك الأحداث ذاتها ،فهو عامل لجملة من الأفكار والقيم الفكرية والاجتماعية والثقافية، وهناك تفاعل بين الشخصية والمكان والأحداث، حيث أن الأحداث تصحبها عدة تحولات وتغيرات على مستوى بنية المكان وأفكار الشخصيات ومعتقداتهم، إذ احتل المكان موضعا بارزا في الرواية فكان هو المركز الذي تدور حوله الدلالات والمعاني.

٥- أما بالنسبة للشخصيات فقد وظف الكاتب الوصف كتقنية مساعدة لكشف الجوانب الخفية للشخصية من خلال السارد أو استنباط القارئ لهذه المواصفات، لم تتدرج الشخصية الروائية والقصصية في النص الكنفاني في مستوى واحد بسبب انفتاح النص على المجتمع بفئاته كافة، لذلك نجد فيها تنوعا في الشخصيات، المثقفين، والمناضلين والفدائيين، والأطفال، وكذلك الصهاينة واليهود، ويطغى الصراع بينهم في شكل ثنائيات.

٦- تجسد الرواية حب غسان كنفاني في العودة إلى الوطن، فهي تعبير صادق عن الغربة وتجسيد لها في شكل فعل أدبي فني.

٧-يعد التكرار في الرواية شكل من أشكال الإيقاع فيها، كما ورد من تكرار للجمل والكلمات والأحداث.

٨- رسم لنا غسان كنفاني لوحة فنية برؤيا فكرية ذات طابع فني قام التداعي والتأمل فيه مقام الأحداث ليسقط الكاتب رؤاه ككاتب مثقف وسياسي مناضل على بلد يتقسم، فجعل غسان من قلمه وسيلة للدفاع عن القضية الفلسطينية، التي قد يعبر عنها كل عربي ويبدع ولكن من ذا الذي يعبر عنها أفضل من أبنائها الذين عايشوا مأساتها بعمق. كانت هذه أهم النتائج المتوصل إليها من خلال القراءة في رواية غسان كنفاني طلبا في فك شفرتها واستكناه أسرارها، لتفتح الآفاق أمام رؤى مختلفة ولتكشف عن جمالياتها وبنيتها ودلالتها.

المصادر والمراجع:

أولاً المصادر

١-عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، الطبعة السادسة ٢٠٠٤.

ثانياً العاجم:

١- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د. ط)، ١٩٩٩، الجزء الأول

٢- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩٩، المجلد الثاني.

ثالثاً المراجع:

١-بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٨٤

٢-بناء الرواية، عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب، مصر، ط١، ١٩٨٢

٣-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت طبعة الأولى ١٩٩٠

٤-بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحميداوي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء- المغرب، د.ط، ٢٠٠٠

٥-تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) محمد بو عزه، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١، ٢٠١٠.

٦-تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية، شابيط أحمد شرابيط، دار القصبة للنشر ، الجزائر، د.ط، ٢٠٠٩

٧-جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى ١٩٩٤

٨-جماليات المكان في النقد الادبي المعاصر، عبد الله أبو هيف، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، مجلد ٢٧، لعدد ١، ٢٠٠٥

٩-جماليات المكان: غاستون باشلار، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط٥، ٢٠٠٠

١٠-خطاب الحكاية(بحث في المنهج) جيرالد جنت، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي، د.ط، ٢٠٠٣

١١-دراسة الاسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٨

١٢-الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، محمد علي سلامة، دار الوفاء للطباعة والنشر، د.ط، ٢٠٠٧

١٣-الشخصية في العمل الروائي، نصر الدين بن محمد، مجلة فيصل، دار الفيصل الثقافية للطباعة العربية، السعودية، ٣٧، جوان ١٩٨٠.

١٤-الشخصية(أنواعها أنماطها وفن التعامل معها) مؤسسة إقرار ، القاهرة، الطبعة الأولى د.ت

١٥-غسان كنفاني(جماليات السرد في الخطاب الروائي)، صبحية عودة، دار مجدلاوي، الأردن، ط١، ١٩٩٦

١٦-في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، ١٩٩٩

١٧-قاموس لسرديات، جيرالد برنس، تر: سيد امام، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣

١٨-مصادر الدراسات الأدبية، يوسف أسعد داغر، لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠

١٩-المكان في الرواية العربية، عبد الصمد زايد، دار محمد علي، التونس، ط١، ٢٠٠٣

٢٠-المكان في لقصة القصيرة الجزائرية الثورية(دراسة بنيوية لنفوس ثائرة) ، أرويد عبود، دار الأمل للطباعة والنشر، د.ط، ٢٠٠٩

١١-مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، يوسف حطيني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، ١٩٩٩

١٢-نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، جيرالد جنت وآخرون، تر: ناجي مصطفى، منشورات الأكادمي الجامعي، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٩٨٩

١٣-النقد الأدبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك، ابراهيم محمود خليل، دار المسيرة، الأردن، لطبعة الاولى ١٩٩٨

١٤-الواقع الفلسطيني في الرواية، غسان كنفاني وجبرا ابراهيم جبرا، ط٢، ٢٠١٤